
49
جوهرة
الفيضان المدمر
علاء الدين طعيمة
دار الدعو



جوهرة
الفيضان المدمر

ماذا لو قمت من نومك في الصباح تشم رائحة الماء كأنه في أنفك وتنظر فتراه يملأ أرضية الحجرة ويملأ البيت .. فتنظر من النافذة في فزع فترى الشوارع ما هي إلا بحر كبير قد غطى البيوت القصيرة وأغرق من فيها وحطم كل شيء.. حتى جيرانك الذين هم يسكنون أسفل منك قد غرقوا تماماً بالماء؟.. هذا بالطبع لا يمكن أن يحدث إلا فيما يسمى .. «الفيضان المدمر» .

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي : ٢ ش منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس : ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

سلسلة مغامرات مؤمن

مغامرات عجيبة جداً ..

49

جوهرة

الفيضان المدمر

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع القانونى
٢٠٠١/١٠٠٧٩

الترقيم الدولى :
977-253-222-4

دار الـدعـوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الاسكندرية
تليفاكس :٣٩٠١٩١٤ ـ ٣٩٠٧٩٩٨

جــوهــرة

الفيضان المدمر

تاليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسرى حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري

دار الـدعـوة


بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا لو قمت من نومك في الصباح تشم رائحة الماء كأنه في أنفك وتنظر فتراه يملأ أرضية الحجرة ويملأ البيت .. فتنظر من النافذة في فزع فترى الشوارع ما هي إلا بحر كبير قد غطى البيوت القصيرة وأغرق مَنْ فيها وحطَّم كل شيء.. حتى جيرانك الذين هم يسكنون أسفل منك قد غرقوا تماماً بالماء؟.. هذا بالطبع لا يمكن أن يحدث إلا فيما يسمى بـ.. «الفيضان المدمر» .

في مغامرتنا هذه رأى بطلنا مؤمن ما لم تراه عيناه من قبل .. فهذه المغامرة لم تقع لمؤمن في الحقيقة .. بل هو لم يغادر بيته بالقاهرة .. كان في حجرته في ليلة عاد فيها من آخر مغامرة ونام وهو يتمنى أن يزول الفساد من الأرض ..

فرأى في منامه هذا الحلم العجيب جداً فلندعه يرويه لنا :

« أنا لا أتصور أن أحداً يمكن أن يرى في منامه مثلما رأيت .. كل الناس يحلمون بأحداث مرّت بهم في الماضي أو أحداث ستقع لهم في مستقبلهم القريب ..أو على الأقل في شيئ سيحدث لهم في حياتهم الدنيا .. أما أنا فقد أتاني فيما يأتي النائم **ملاك طيب** يبكي ويقول لي :

ـ قُم يا مؤمن من رقادك .. مالي أراك نائماً والمسلمون يذبحون ويقتلون ؟

تخيلت أنني قمت من مكاني ووقفت على فراشي وأمامي هذا **الملاك الحزين** وسألته :

ـ ماذا تقول ؟.. أين هم ؟

قال :

ـ تعالى معي .. تعالى ..

ـ إلى أين ؟

ـ **القدس .. فلسطين .**

كنت أعرف **القدس** وقد زرتها في إحدى مغامراتي القديمة .. لكنني لما خرجت معه من البيت أدركت أنني في عالم آخر .. عالم غير الذي أنا فيه وأعيش فيه .. عالم متقدم .. لكن للعجب أيضاً أن دهشتي لم تستمر كثيراً فأنا في هذا الحلم العجيب لست إلا واحدا من أهل هذا الزمان لا أتذكر زماني الحقيقي إلا نادراً .. لم تدهشني الحضارة فكأنني أتصرف كواحد ممن ولدوا في القرن العشرين الميلادي .. ولم أتساءل في الحلم كيف عرفت كل هذه الأشياء ومَنْ الذي جعلني واحداً من أهل هذا الزمان

العجيب حتى أمي وبيتنا كانا مختلفين .. فأمي تمتلك مصنعاً للمنتجات الخزفية والتحف الفنية ولدينا تليفزيون وسيارة جيب ورثتها عن أبي .. أما مخزن جدي فكان كما هو لم يتغير فيه شيء سوى أنه منظم بعض الشيء .

لقد اختفى الملاك في لحظة ووجدتني أذهب إلى حجرة المعيشة لأمي وهي تشاهد التليفزيون وتبكي :

ـ أمي .. لماذا تبكين ؟

ـ انظر يا مؤمن .. اليهود يقتلون ويذبحون أهلنا في فلسطين .. الانتفاضة يا مؤمن .. الانتفاضة ..

جلست أمام الشاشة ولا أكاد أصدق نفسي .. جموع الناس في ثورة عارمة .. يواجهون بالطوب والحجارة جنوداً مدججين بالسلاح .. وتصيب الرصاصات الناس فمنهم



مَنْ يسقط شهيداً ومنهم من يقع جريحاً فيحمله البعض إلى سيارات الإسعاف على خوف .

وتوالت المشاهد وأحسست أن الدم يغلي في عروقي .. ومضت ليلة لا أعرف فيها طعم النوم .

وفي اليوم التالي وجدتني لا أبرح شاشة التلفزيون وأتظاهر بالهدوء وأعماقي تغلى وتثور .. حتى قمت إلى والدتي وأنا لا أكاد أتماسك :

ـ أمي .. ماذا تقولين فيما يحدث ؟

ـ ليس هناك حل سوى الجهاد يا ولدي .. ومادام المسجد الأقصى في خطر فغضب الله يكون شديداً على من يتقاعس عن الجهاد في سبيله لتحريره من أيدي الصهاينة.

ـ أمي .. لقد قررت أن أستكمل مغامراتي .. وأنا أستأذنك في الخروج الآن .

ـ الآن ؟.. وهل ستعرف الطريق ؟

ـ نعم يا أمي .. بإذن الله سيعينني على ذلك .

وحملت حقيبتي التي لم أجد فيها سلاحاً ولا درعاً كالعادة .. بل كان فيها كتاب الله وبعض الملابس وزجاجة مياه وأوراقاً وقلماً ولم أتساءل عن سر ذلك .. بل اندفعت أجرى وركبت سيارتي الجيب كأنني أعرف كيف أستعملها ووجدت صديقاً لي يسكن في نفس البيت ينادي عليَّ من شرفته :

ـ مؤمن ... يا مؤمن .. تعالى .. أبي يريدك .

شعرت أن الأمر مهم فتراجعت عن سيارتي ورحت أصعد السلم حتى وصلت لشقة منير صديقي وفتح لي والده الأستاذ/ زكريا ودخلت فوجدت في حجرة الضيافة مالا يقل عن ستة من الشباب .. كلهم كانوا يتحدثون بصوت مرتفع وأمامهم التلفزيون .. جلست معهم وتعرفت عليهم .. منهم المهندس والطبيب والمحامي والصحفي والمدرس والتاجر .. وسمعت منهم كلمات نقشت في ذهني ولم أنسى منها حرفاً واحداً :

«اليهود أعداء المسلمين في كل زمان ومكان .. ألم يذكر القرآن ذلك؟»

ـ إنهم قتلة الأنبياء ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠]

ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[البقرة:٦١]

ـ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران:١٨١]

ـ إنهم يتطاولون على الله عز وجل.. إنهم ينقضون العهود ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:١٠٠]

ـ ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[الأنفال:٥٦]

انصرف الناس من عند الأستاذ زكريا ووجدت نفسي وحدي مع منير:

ـ منير .. إنني ذاهب إلى الجهاد في فلسطين .

ـ ألهذا كنت شارداً ولم تبادل ضيوفنا الحديث ؟.. لقد ناديناك لنأخذ رأيك فيما يحدث.. فما هو رأيك؟

ـ الرأي كما قلت لك .. والآن دعني أذهب ؟

لا أعرف كيف وجدت نفسي في سيارتي .. كما في الأحلام تحدث أشياء عجيبة .. وأخذت في الطريق أفكر كيف سأعبر الحدود دون تحقيق شخصية أو جواز سفر .. وعجبت إذ وجدت خلفي بوابة الحدود وقد عبرتها دون أن أدري .. الحلم يأخذني بقوة دون أن يترك لي فرصة للحيرة أو التردد .

ومرَّ عليَّ الليل وأنا مندفع بسيارتي في الصحراء التي تلي « غزة » وتمنيت لو وجدت في حوزتي سلاحاً .. لكن

ذلك لم يحدث .

ولا أدري أيضاً كيف وجدت نفسى بلا سيارة وأسير في حشود كبيرة لا أكاد أبين من بينهم وسط الزحام أكاد أختنق.

فأخذت أستغل صغر حجمي وأتقدم لأعرف ماذا هناك.

فوصلت إلى المقدمة ورأيت الناس يحملون نعشاً به جثة شاب فلسطيني .. إذاً أنا في جنازة شهيد .. والجميع يهتف الله أكبر الله أكبر .. لاإله إلا الله .. بالروح بالدم نفديك يا فلسطين .. ورأيت النسوة يزغردون فرحاً للذي لقي ربه شهيداً حياً إلى يوم البعث .

وكعادة الأحلام تغير المكان والزمان في لحظة ورأيت جنود اليهود يحتمون بسيارة مصفحة وأنا بين مجموعة من الغلمان والشباب نقذفهم بالحجارة ثم نجري منهم كلما صوبوا إلينا أسلحتهم .. كنت خائفاً لا أدري لماذا .. ربما كنت أتساءل :

« ما الذي يفعله الحجر أمام الرصاصات ؟ يا ألله»

واستخدم اليهود قنابل يدوية وجريت مع الشباب .. حتى وجدتني أجرى مع غلام وحدنا في شارع مظلم .. نظر خلفه فلما رآني صاح بي :

ـ أيها الغلام .. مالك لا تجري بسرعة ؟ اتبعني .

وتوغلت برفقته في شوارع فلسطين القديمة حتى دلف إلى بيت فتبعته فوقف هادئاً وقال :

ـ نحن الآن في أمان والحمد لله .. هل تدخل معي ؟.. لابد أن أمي قد قلقت عليّ ولكن من أنت وما هذا الزيّ الغريب الذي ترتديه ؟ .. تعالى .. تعالى .. فخطر عليك أن تسير وحدك الآن .

ووجدت نفسي معه في حجرة الجلوس وأمه تبكي لعدم عودة والده حتى الآن .. وجلسنا في همّ وقلق ننتظر حتى طرق الأب الباب وقال :

ـ الحمد لله .. لقد اشتبكنا بالحجارة مع جنود اليهود الذين كانوا يطلقون النار علينا ليمنعونا من الصلاة في المسجد الأقصى .

وهرعت الأم فأحضرت لنا طعاماً وشراباً .. وعَرَّفْتَهُم بنفسي وأعجبوا من رواياتي وسألت الغلام عن اسمه فقال:

ـ أنا اسمي محـمد وهذا أبي جمال .. ويكون اسـمي كاملاً « **محمد جمال الدُرَّة** » .

كان محمد الدُرَّة غلاماً ذكياً له أحلام كبيرة فقد جلست معه وهو متحمس :

ـ أتعـرف يا مـؤمن .. كل يوم عـلى وسـادتي أحلم بأن الله رزقني بندقـية .. لا .. بل مـدفعـاً رشاشـاً وأوحى إليّ .. اذهب يا محمد واقتل اليـهود كلهم .. فسوف تكون أنت السبب في إبادتهم من فوق الأرض هذه أحلامي يا مؤمن فـإنني منذ وعـيت على الدنيـا وأنا أرى اليهـود يحـتلون بلادنا ويُذِلُّون شـعبنا، ويقـتلون الأطفال والنسـاء، مؤمن إنني رغم حداثة سني فـأنا أعرف جيداً اليـهود ولم أنسى تاريخـهم الأسود وأيديهم الملـطخة بالدمـاء حيث قـتلوا

الأطفال في مدرسة بحر البقر الابتدائية بالشرقية في بلدكم الحبيب مصر ومدرسة الخالدين الابتدائية بالضفة الغربية في بلدنا الحبيب فلسطين، وأطماعهم يا مؤمن لا حدود لها فشعارهم المعلن هو إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .. وأنهم يخططون لهدم المسجد الأقصى يا مؤمن .

أما والده فقد كان جالساً يقرأ القرآن الكريم ثم أخذ يدعو الله أن ينصر المسلمين على اليهود . وبعد ذلك قال لابنه محمد :

ـ يا محمد .. لابد أن ينتصر المسلمون إن شاء الله على اليهود هذا وعد الله .. ألم تقرأ حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون

اليهـود فيقتلهم المسلمـون حتى يختبيء اليـهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتـعال فاقتله إلا الغرقد فـإنه من شجر اليهود » رواه مسلم . .

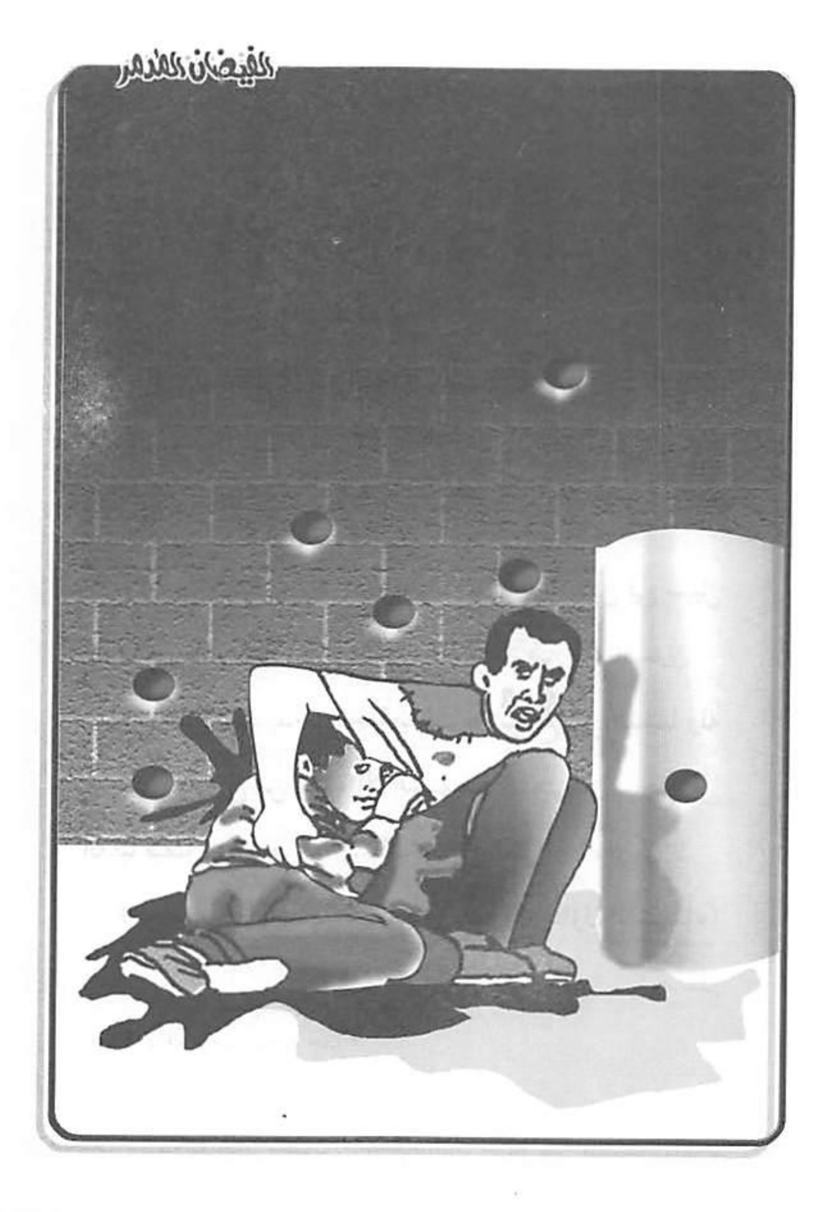
ورأيتني بعـد ذلك نائماً مـعهم وقـمنا في الصبـاح على صوت إطلاق النار وأزيز المروحيات تجوب السماء تقصف بيوت الناس .. اندفعنا نجري من البيت كالمجانين .. لكن ما الذي جـرى بعد ذلك لا أدري .. فـقـد تحول الأمـر لشيء عـجـيـب .. رأيت مـحـمـد الدرة ووالده .. أمـامي على الرصيف المواجه يحتـميان ببرميل صغـير من طلقات العدو التي تنهمر عليهما في قسوة دون رحمة .

أخذت أصرخ فيهما حتى يبتعدان .. وأدركت أنهما لا يعرفان سبيلاً للهرب .. حاولت أن أجري نحوهما لكن شيئاً قد شلَّ رجليَّ .. نظرت لقدميَّ فكأنهما التصقتا بالأرض.. ولم أملك سوى الصراخ.. **يا محمد يادرة.. يا محمد يا درة** .. وفجأة رأيت الناس حولي كلهم ملتصقين بالأرض يصرخون مثلي ولم أصدق أن عياراً نارياً قد أصاب محمد الدرة وصاح رجل في أذني يقول :

- مات الولد .. مات الولد .

لم أصدق أن محمد قد مات .. لم أتحمل الموقف أردتَ أن أصحو من النوم حتى أهرب من ذلك الحلم .. الكابوس الفظيع .. لكني لم أقدر .. بل وجدتني أحمل محمد الدرة على ذراعيَّ ودمه الزكي يلطخ ملابسي وورائي يسير شعب

كبير، في مكان وحدي خلف صخرة بجبل يعلو المدن المشتعلة .. كان الخوف يملأ قلبي .. أردت أن أهرب .. لم تكن هذه طبيعتي .. أنا .. **أنا مؤمن** .. الذي لم يكن يعرف الخوف أبداً.. الذي كان يخوض الحروب في مغامرات رهيبة .. كيف أهرب وأقعد من بعيد أتفرج على أهلي من المسلمين وهم يسقطون تحت وابل من رصاص العدو الغاشم .. لكن ماذا أفعل حيال البنادق والرشاشات والمدافع .. فجأة سمعت كأن صوتاً يأتي من خلفي .. نظرت للصحراء الواسعة فإذا الدم ينبعث من باطنها حتى ملأ الأرض ورأيت كأن نبتاً ينمو رأسياً بسرعة .. ولما تبينت فإذا هي جثث الشهداء .. امتلأت الصحراء برجال يقفون وأقدامهم في الدماء يسدون الأفق .. لم أدر وقتها لماذا زال


الفيضان المدمر

الخوف عن قلبي ودرت أواجههم .. فتكلموا في صوت واحد كأنه الهدير قال الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[التوبة:١١١]

وقال رسول الله ﷺ :

{ إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض } رواه البخاري .

{ ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد . يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات .. لما يرى من الكرامة » متفق عليه .

(من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء)

رواه مسلم

« ٤٩ / مغامرات عجيبة جداً »

وفجأة عادت جثث الشهداء تغوص في الأرض وشربت الرمال الدماء وانبعثت رائحة المسك تفوح في الصحراء حتى كدت أصرخ فيهم أن يعودوا .. ووجدتني أرفع كفَّيَّ إلى السماء وأقول :

« اللهم نصرك الذي وعدت ، اللهم نصرك الذي وعدت » .

وكما يحدث في الأحلام بالضبط وجدت نفسي في أحد مخازن البضائع وكان يكتظ بالمجاهدين من الشباب .. كانوا في اجتماع يتباحثون في أمر الانتفاضة .. في البدء أعجبني حديث قائدهم .. لكنه مازال يتكلم عن الحجارة . فكسرت حاجز الصمت وصرخت فيه فنظروا إليَّ جميعاً فتقدمت الصفوف حتى واجهته :

ـ عفـواً يا أخي .. عفواً .. إلى متى تسـتخدمون الحـجارة..

إنها لن تجدي نفعاً .

لم يسـألني مَنْ أنا ولم يدهش أحـد من وجـودي .. بل قال:

ـ يا مؤمن .. ليس لدينا سواها ..

ـ وأين السلاح؟.. أين البندقية والمدفع والقنابل ؟

أطرق الرجل خجلاً ثم قال :

ـ لا يوجد لدينا ما تقول ..

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. نعم .. فـالحجارة وسيلة تعـبير عن الغضب .. لكنها ليست نداً للرصاصة والقنبلة .

ـ ومـا العـمـل إذن ؟.. نحن لا نسـتطيع السـكوت .. لن

نتراجع حتى ولو لم نجد الحجارة .. سنقاتلهم بأيدينا الخالية.

سكت قليلاً وأطرقت أفكر فيما عساي أن أفعله .. وفجأة وجدت نفسي مع ثلاثة من الرجال في بيتٍ من بيوت الفلسطينيين في «رام الله» :

ـ لماذا لا نبحث عن وسيلة أخرى للقتال .. ولا تكلفنا الكثير ؟

قال القائد الذي كان معنا في المخزن :

ـ لا نعلم غير الحجارة .

ـ هناك ما هو أفضل منها وفي استطاعتنا .. سنعود يا أهل فلسطين إلى سلاح العرب .. سلاحنا القديم .. القوس والسهم والسيف والدرع .

نظروا ثلاثتهم لبعضهم البعض وارتسمت على شفاههم ابتسامة ساخرة ثم بدا أن الفكرة بدأت تداعب عقولهم فشردوا وفكروا وقال قائدهم :

ـ القوس والسهم ؟!

ـ نعم يا سيدي .. أليس السهم المسموم أفضل من الحجر .. أليس الدرع الحديدي وقاية من رصاصاتهم ؟..

قال واحد آخر :

ـ كلام طيب .. ولكن .. مازلت أتساءل من أين نأتي بها؟

قُلت على الفور :

ـ ماذا بكم يا أهل رام الله .. أليس في بلادكم ورشة نجارة أو ورشة لأعمال الحديد واللحام وخلافه ؟

قال القائد بسرعة :

ـ بلى .. لدينا .. هل تظن يا مؤمن ؟

ـ هذا هو .. نقوم بتجنيد أصحاب هذه الورش في إنتاج السهام .. والدروع .

ما الذي حدث بعد أن قلت ذلك .. لا أدري.. فلقد وجدت نفسي في الشارع بين الناس وهم يقاومون دورية إسرائيلية تقف بسيارة مصفحة .. يطلقون الرصاص على الجموع العشوائية وقنابل الغاز المسيِّل للدموع .. الدخان هنا وهناك والمجاهدون يلقون الحجارة عليهم وإذ بى أمسك قوسى وعلى ظهرى جعبة السهام.. فلم أتوانى فى استخدامه.. فهل هناك أحد فى مهارتى بالرمى ؟

تعجَّب الناس منى وفى أعينهم إعجاب بفكرتى.. اتخذت حجراً كبيراً ساتراً لى ومن ورائه أطلقت أول

سهم.. فـانطلق يصيب الإسـرائيلى ذى البندقيـة الذي كان يصوب نحـوى فأصبتـه في قلبه ومات على الفـور .. فكبَّر الناس وهتفـوا وزاد الصياح وتـشجعـوا على المقاومة أكـثر فـأكثـر وتوجَّـهت إلىَّ فوهـات بنادقهم.. لكـننى صمـدت خلف الحجر حتى سنحت لى فرصـة أخرى فأصبت بسهم قاتل الجندي الثاني .. فصاح الناس :

« الله أكبر .. الله أكبر .. النصر لله .. النصر لله »

ولكني لم أتراجع هذه المرة وقفت أصـوِّب نحو الجندي الثالث وهو في ذات الوقت يصوب نـحوي ليحكم التنشين فـمن منـا كـان الأسـرع ؟.. هو في رعب المـشـرك بالله في خوف من الموت يهـتز ذراعه بالبندقـية رعبـاً ولقد زلزل الله قلبـه .. أمـا أنا .. أنا مـؤمن .. ثبَّت الله قلبي عـلى دينه ..

وقـواًه بحب الموت في سـبـيله .. قـويت ذراعي وأحكمت التنشين حتى مر السهم من فوق ماسورة بندقـيته ليستقر في جبـهته .. وحاول الجندي الرابع أن يقـود السيارة المصفـحة بعيداً .. لكنني صحت في الناس .

ـ هجوم .. اهجموا ..

واندفع السيل العـارم مع اللحن الهادر بالتكبيـر كالموج الطاغي فتـكتلوا على السيارة وأوقـفوها وأخـرجوا الجندي الرابع فمـزقوه تمزيقاً .. انتقـاماً شديداً ممن قـتلوا زوجاتهم وأولادهم .

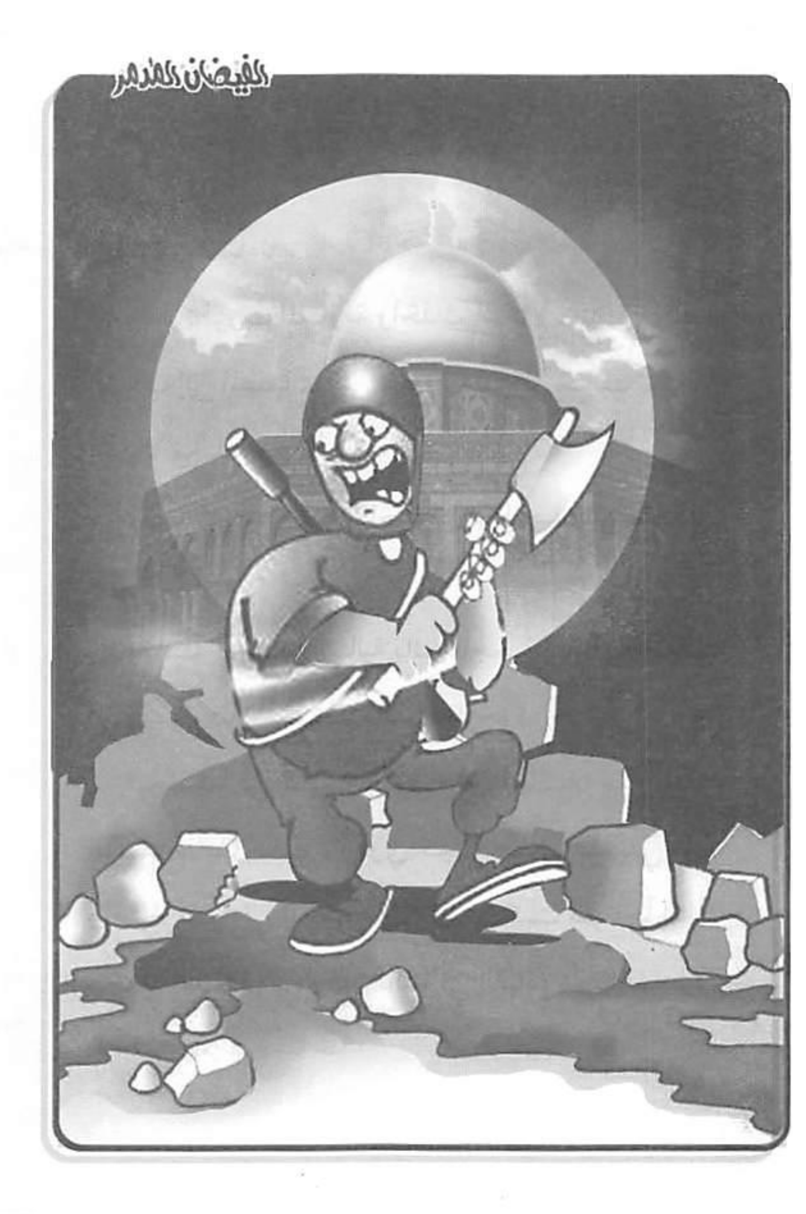
وصاح الناس فيَّ وأنا في مكاني :

ـ هذا صلاح الـدين قد عاد .. هـذا صلاح الدين قـد عاد يا

قدس قد عاد من عمق التاريخ .

وأمسك أحـدهم بقوسى وأخذ يقـبِّله .. وحملوني على الأعناق وساروا بي في الشـوارع يهتفـون بالنصر .. وكنت في فرح شـديد ونظرت إليهم فـإذا كل واحد يحمل قـوساً ودرعاً وسيفاً .

وانطلق الناس يرمـون في سـبيل الله جحـافل الكفـر المعـتـدين .. واهتـز الجـيش الإسـرائـيلي ودارت الدائرة عليهم وانطلقت الـسِّهام من كل مكان .. كـما يختبـئون وراء الدروع التي جهـزتها الورش الأهليـة .. للمناضلين من شـعب فلسطين الأبيـة ، ومع ذلك فـقـد زادت شـدة حنق جنود اليـهـود فـأخـذوا بالمـدافع يقـصـفـون بيـوتنا



ويدمرون أحياءنا .

ولقد تطورت المقاومة وأخذت أشكالاً منتظمة وانضم الشباب إلى المنظمات التي تقاوم العدو في كتائب تستعمل أشكالاً مختلفة من الأسلحة .

ووجدت نفسي قائداً لمجموعة من المجاهدين لا تتعدى العشرة.

وكانت حركاتنا القتالية دائماً ناجحة بفضل الله تعالى، لكنها ـ مع ذلك ـ لم تؤت الثمرة المرجوة .

فجلسنا في كهف بجبل منعزل ليلاً على ضوء الشموع نتباحث ولا أدري كيف حضر صديقي منير وأصبح نفراً في المجموعة .. لكنني كنت مرتاحاً لذلك وجعلته مساعداً لي وكان ثالثنا في القيادة شاب فلسطيني

يدعى « عز الدين » .

ولقد سمَّاه أبوه بهـذا الاسم تمجيداً لمجاهد فلسطيني في الأربعينيات وكـان عز الدين مثالاً لما اقتـدى به، فهو ذكي.. غيور .. يتمنى الموت في سبيل الله ، يكره اليهود كمن يكره الموت أو الفقر أو الكفر أو الذل :

ـ عز الدين .. ما رأيك فيما وصلنا إليه حتى الآن ..؟

ـ أرى يا مؤمن في لهجتك عدم الرضا ..

فتدخل منير قائلاً :

ـ عـزالدين .. مـؤمن لا يعتـرف بالإنجـازات البـسيطة .. فقدراته أكبر من ذلك بفضل الله .

ـ إذا يا منير وأنت يا مؤمن .. ليس أمامنا سوى وضع هدف كبير ..

ـ أظن أننا بحاجة إلى عمل عظيم .. ما رأيك يا أخي في خطة لإزالة معسكر الأعداء الذي يسيطر على المدينة ؟

ساد وجوم بينهم ولم ينطق أحد بكلمة واحدة لفترة وظننت أنني أخطأت عندما عرضت ذلك حتى تكلم عزالدين قائلاً :

ـ يا مؤمن .. إنها نقطة حصينة ومنيعة وهي الوحيدة المسيطرة على المدينة وبها مالا تتخيل من العتاد والجنود .

قال منير بروح ثائرة :

ـ نعم يا عزالدين .. ولكن منها أيضاً يخرج الجنود في دوريات لضرب الشعب الأعزل بالرصاص في الشوارع.. ومنها أيضاً تنطلق المدافع التي تدمر بيوتنا ومساجدنا وتقتل نساءنا وأطفالنا وشيوخنا .. فلو نجحنا

في تدميرها لعادت المدينة للفلسطينيين فدافعوا عنها حتى لا يعود إليها اليهود مرة أخرى ..

قال عز الدين وهو يفرك شعر رأسه :

ـ والله إنه لعمل ضخم .. لكن .. لكن عقلي عاجز الآن عن التفكير في كيفية حدوث ذلك ..

كانت نقطة اليهود في المدينة .. نقطة حصينة .. تحتل مساحة كبيرة من الأراضي .. ومن عادة اليهود بناء حصونهم بإحكام يكاد يعجز التفكير عن محاولة اقتحامها.. فهناك سور عالي من الأسلاك الشائكة يتبعه بمسافة سور آخر من الكتل الأسمنتية الضخمة ثم في القلب يقع الحصن المطمس إلا من مغازل دقيقة من خلال فتحاتها الضعيفة تبرز المدافع والبنادق.. وعلى أبراج ستة تحيط

بالحصن توجد دورية حراسة .. وتعمل فوقها كشّافات إضاءة قوية بنظام يمسح المكان كله طوال الوقت بحيث تراقب كل نملةيمكنها الاقتراب من الحصن .

وللحصن بوابة كبيرة عليها حراسة مشددة للدخول والخروج وهي التي منها تنطلق قوات التدمير .. ومع ذلك فهناك كان يقع أكبر مخزن للذخيرة الحية من رصاصات وقنابل وأصابع متفجرات وخلافه لتموين القوات لمسافات كبيرة وهذا هو سر التحصين الشديد للمكان .

هذه هي المعلومات التي حصل عليها بعض رجالنا بعد عدة أيام من المراقبة اللصيقة .

لكن ما هي الخطة المحكمة التي تضمن لناتدمير هذا الحصن العتيد ؟

ـ عز الدين .. نحن في حاجة إلى سلاح .. لا يعقل أن ندمر الحصن بوسيلة بدائية .. أليس كذلك ؟

ـ نعم يا مؤمن .. وهذا ما يشغل بالي .. فبالرغم من نجاحنا في مراقبة الحصن ومعرفة مداخله ومخارجه إلا أننا نقف في عجز أمام مجرد التفكير في تدميره.. هناك عدد كبير.. بل حشد ضخم من الجنود وهناك مراقبة وحراسة بأحدث الأجهزة .. كيف يمكننا اختراق كل ذلك وتدميره بدون سلاح؟

شعرت بالعجز التام فالبلاد كلها ليس فيها بندقية مسلمة .. حتى من يملك من المسلمين واحدة فهو يجاهد بها في مكان ما أو يدافع بها عن بيته وأهله .

وعدنا نفكر ونفكر حتى قال عزالدين ذات ليلة :

ـ لي أصحاب في لبنان يمكننا أن نراهن عليهم في هذه المسألة .

فرحت وفرح منير وهلل الرجال .. لكن قلبي كان يحدثني أن ثمة عقبة سوف يبوح بها عزالدين وكما توقعت:

ـ لكن هناك مشكلة يا رجال .

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .

ـ نعم ... لا يستطيع واحد فينا أن يعبر الحدود .. فاليهود قد أغلقوا الحدود والمطارات .. وإذا حاولنا الفرار ونجحنا فسيكون من العسير الرجوع ودخول فلسطين مرة أخرى.. فما بالنا إذا كان لدينا في ذلك الوقت متفجرات

وأسلحة، نريد إدخالها إلى فلسطين مرة أخرى ؟

صاح رجل في ثورة :

ـ وما العمل إذن ؟ .. ما العمل ؟.. هل نرضخ للعدوان.. هل نجلس بجانب الجدار نبكي كالنساء؟.. أولادنا يموتون كل يوم بالعشرات .. الدماء تسيل على الطرقات.. دعوني أذهب أنا .. سأعبر الحدود حتى يقتلوني .. دعوني.

حاول الرجل الخروج من البيت كالمجنون فمنعناه .. وأحسّ كل واحد فينا بالدم يفور في عروقه .

ومضت أيام نخرج في مسيرات كبيرة نقاوم المحتل الغاشم وحلم تدمير الحصن يراودنا حتى كان ذات يوم جاءنا أحد أفراد المجموعة برجل من البدو وقال لعز الدين :

ـ يا أخي .. هذا البدوي يعرف طريقاً للخروج إلى لبنان عبر الحدود .

أجلسنا البدوي ورحبنا به وقدمنا له طعاماً وشراباً وأخذنا نتعرَّف على ما لديه من أفكار طيبة :

ـ قل لي يا سيدي .. كيف ننفذ خطتنا ؟

قال البدوي في استفسار :

ـ أي خطة تلك التي تريد تنفيذها يا أخي ؟

تعجَّبت وكذلك منير لكن نظرة عز الدين إليَّ أوحت لي أن الرجل لايريد الكلام لخوفه وعدم ثقته فينا حتى الآن.. فقلت له :

ـ يا أخي .. أما ترانا في حالتنا هذه .. ملابسنا ممزقة وكل واحد فينا يقاسي الجروح في رأسه وجسده .. أهذا لا

يكفيك حتى تصدِّق أننا نجاهد في سبيل الله ؟

تنحنح البدوي وأبدى حرجاً مصطنعاً .. ثم قال :

ـ عفواً يا إخواني .. فهذه الأيام تعج بالفِتَن .. وتمتلئ الدروب بالجواسيس والخونة .. فالصهاينة جنَّدوا ضعاف النفوس من الفلسطينيين وأغروهم بالمال وأرهبوهم بالقتل وزودوهم بالإمكانيات.. ويندر أن تعرف الخائن من بين الجموع، عفواً .. لا تؤاخذوني .. على العموم .. لقد قال لي أخي الذي أحضرني إلى هنا .. أنكم تريدون الخروج إلى لبنان .

فلاحقه منير قائلاً :

ـ ونريد العودة إلى هنا بعد فترة بسيطة .

ـ هذا كلام جميل .. لكن .. معذرة .. هل لي أن أعرف

السبب في ذلك ؟

ـ قال عز الدين منفعلاً :

ـ يا أخي .. مالك أنت والسبب .. إن لم تكن عربياً مخلصاً لقضيتنا وكنت مرشداً تعمل بالأجر .. فنحن يا سيدي .. سنعطيك المال الذي تطلبه ويزيد .

اعتدل البدوي في جلسته ورشف آخر رشفة في كوب الشاي ثم قال :

ـ يا سيدي لا تؤاخذني .. فأنا أعمل كمرشد ودليل في الصحراء وكم من أناس هربوا من البلاد عن طريقي .. ولي زوجة وأولاد يعيشون على ما أحمله إليهم من رزق من هذا العمل .. فلا تؤاخذوني يا إخواني .. ثم.. ثم إنني أسأل لأعرف غرضكم من الخروج .. فإن كان فيه

نفع .. عفواً مثل تهريب أغذية أو مخدرات .. فلابد أن أجرتي سترتفع .

فنظرنا كلنا إلى بعضنا في دهشة وتعجب .. لكن عز الدين وكأنه يتوقع أي شيء .. قال له :

ـ يا أخي .. ماذا تقول ؟ أي أغذية ومخدرات في هذه الظروف .. نحن مجاهدون .. مجاهدون يا أخي .. ونريد الدفاع عن أهلينا ومقدساتنا ضد اليهود الذين يقتلوننا ليل نهار .

صاح البدوي بسرعة :

ـ آه .. لا .. هل تريدون موتي ؟ .. هل تريدون تشريد أولادي وترمّل زوجتي؟ .. سلاح ؟.. لا .. السلام عليكم.

اندفع منير وعز الدين وراء البدوي حتى أعاداه إلى البيت وأجلساه وهو يرفض ويتأبى ولكن منير قال له :

ـ هلا شرحت لنا من فضلك .. ماذا في ذلك ؟

قال البدوي العنيد وهو مقطب الجبين يريد الانصراف:

ـ يا أخي لا تضغط عليَّ أرجوك .. هل تظنون أن المسألة هينة إلى هذا الحد ؟.. لا .. هل تظنون أنها مجرد فتحة في سور في الأسلاك الشائكة أعرفه وأخبركم به .. لا.. هيهات .

ساد بيننا صمت ودهشة خرساء ولكن عزالدين سأله :

ـ هذا هو بعينه ما نتوقعه يا أخي .. قل لنا .. هل سنطير في الهواء أم سنعبر نفقاً تحت الأرض؟

قام الرجل واقفاً وأراد الخروج وتأزَّم الأمر عندما هدد

عزالدين البدوي وأجبره على الجلوس والكلام :

ـ اسمع أيها البدوي .. ليس لدينا إلا أنت ونحن في حاجة للسلاح كحاجتنا للماء والهواء .. فإذا وقفت في طريقنا اعتبرناك خائناً يلزم قتلك في الحال .

ارتعد البدوي وجلس وهو يتصبب عرقاً ووقف عزالدين فوق رأسه يريد خنقه .. فلما تنبهت لخطورة ذلك تقدمت من عز الدين وهدأت من حدة توتره وأجلسته وقلت للبدوي بهدوء :

ـ يا أخي.. بارك الله فيك.. ألا يهمك المسجد الأقصى.. ألا يقلقك بيت المقدس وبنات المسلمين وأمهاتهم وأطفالهم.. ألست مسلماً؟ ألا ترى كل يوم جنائز الشهداء الذين يسقطون وعشرات المصابين، ألا ترى

الصواريخ التي تسقط على البيوت والمساجد .. ألا ترى الجرافات وهي تقتلع أشجار الزيتون وتهدم المباني .. ألا.. ألا ..

ـ .. بلى .. بلى .. لكن الأمور لا تتم بهذه الصورة ؟

ـ معذرة .. اعذرنا يا أخي الطيب .. فأعصابنا قد انهارت .. هلا .. هلا شرحت لنا الأمر بالتفصيل .. فإذا لمسنا في الموضوع خطورة على حياتك أو حياة أي واحد فينا فلسوف نرفض الفكرة من أساسها.. فهذا الأمر ليس غرضنا الوحيد ليس الأول والأخير .. فنحن حريصون على حياتنا كل الحرص في هذه المهمة حتى ننفذ المهمة الخطره .. لا يهم ساعتها الحياة من الموت .. لكن .. أن نهدد حياة واحد منا فلا معنى ساعتها لوجود سلاح بدون

مقاتل .. أليس كذلك ؟

عندما سمع الرجل الكلام بهدوء ارتاح قليلاً .. ثم تناولنا بعضاً من الشاي أعده أحدنا .. وعدنا من جديد في المفاوضة الشاقة فقال منير :

ـ ها .. اشرح لنا ما لديك يا أخي والله الموفّق .

شرب الرجل كوب الشاي الصغير دفعة واحدة ثم حملق في سقف الحجرة قليلاً ثم نظر لنا كمن لا يعرفنا ثم تنهد مستسلماً وقال :

ـ الأمر لله .. أنتم تعرفون أن الحدود كلها مدججة بنقط حراسة شديدة .. والدوريات لا تنقطع جيئة وذهاباً .. وإذا أخبركم أحد أن هناك ثقب إبرة في الحدود يمكن لنملة أن تعبر منه فهو كاذب .. اسمعوا .. إن لي أصدقاء

من الجنود الإسرائيليين على الحدود وهم الذين يسهلون لي المهمة .. انتظروا .. إنهم لا يساعدونني في التهريب من أجل جمال عيني أو حباً في الله .. لا .. إنهم يقبضون.. نعم .. هم مرتشون .. أعطيهم أكثر من نصف ما أخذت .. وكلما .. هه .. وكلما كانت العملية كبيرة.. زاد الأجر .. وزادت رشوتهم .. فالهارب غير التاجر غير مهرب المخدرات .. كل صنف له أجره .. آه .. لكن لا يوجد ثمة سلاح في مهمتي أبداً .. أبداً .. أبداً .. لو عرفوا ذلك لقتلوني وفرغوا فيَّ بنادقهم في الحال .

وهنا جلس عزالدين في هدوء وقال :

ـ إذن ماذا كنت ستأخذ أجراً نظير تهريبنا للغذاء مثلاً ؟

ـ ألف دولار لحمولة سيارة نصف نقل .



- إذن سنعطيك الألف دولار.. والله يعلم وحده كيف سنوفرها لك .

- هل تهزأ بيً .. قلت لك لا أعمل في السلاح ..

كاد عزالدين أن يثور مرة أخرى لكن منير فيما يبدو قد فهم غرضه فقال للبدوي :

- اسمع يا أخي .. لابد أن تفعل شيئاً لمأساة شعبنا وأطفالنا.. شيء في سبيل الله .. نحن سنتفق معك على أنها شحنة غذائية .. وستخبر أصدقاءك بذلك .. وسنحضر من لبنان شحنة غذائية .. لكن سنضع في المعلبات ما نشاء وكأنك لا تعلم شيئاً .. وأظن أن أحداً لن يشك في الأمر بما أنك تفعل ذلك باستمرار .

سكت الرجل برهة كانت كأنها سنة .. وبعد ذلك وافق

على أن يزيد المبلغ إلى ألفي دولار ودارت مساومات ومفاوضات حتى تم الأمر بحمد الله .. وطلب منا نحن الثلاثة فقط أن نقوم بالمهمة وبعد يومين كان لقاؤنا معه بالقرب من الحدود في منطقة بعيدة إلى حدٍ كبير عن العمران .

وعندما وصلنا إلى منطقة الأسلاك الشائكة عبرنا تحت سمع وبصر الجندي الإسرائيلي وقلوبنا تخفق أن يطلق النار علينا في المسافة الفاصلة .. ولكننا عبرنا بسلام ووجدنا أنفسنا في الأراضي اللبنانية وكانت على مسافة بعيدة سيارة تنتظرنا .. وبعد يوم كنا في بلدة مجاورة وأحضروا لنا المعلبات الفارغة .. وقمنا في ليلة مرهقة بعملية تعبئة المعلبات وإعادة إحكام غلقها .

وفي اليوم التالي انطلقنا في طريق العودة والقلق يخيم علينا وقد جفَّت الحلوق من الخوف .. ليس الخوف من الموت.. بل الخوف من عدم إتمام المهمة وانكشاف أمرنا .. وكان يساورني الشك في البدوي .. وسألت نفسي كثيراً دون أن أصارح صاحبيَّ .. أنه مادام يعشق المال فلماذا لا يبيعنا لليهود .. فلما عبرنا إلى لبنان سقط عني نصف هذا الشك.. وبقي النصف الآخر .. فلم أقدر أن أخفيه في صدري أكثر من ذلك :

- عزالدين .. منير .. لماذا لا يكون البدوي خائناً .. وقد قبض الثمن منا ويتركنا لرصاص اليهود مقابل أن يقبض منهم أيضاً ..؟؟ !!

ضحك عز الدين وقال :

ـ لا تخف يا صاحبي .. لو كان خائناً لباعنا في الذهاب .. اطمئن يا مؤمن .

وقال منير :

ـ تركونا نعبر يا مؤمن .. وسيتركونا نعود بإذن الله .

واقتربنا والليل من حدود فلسطين المحتلة .. وأطفأنا مصابيح السيارة وسرنا بها على أقل سرعة في الاتجاه المطروق .

وعندما أصبحت الفتحة على مرمى البصر .. وقفنا وأنزلنا البضائع من السيارة إلى الفتحة التي دخلنا منها من قبل ورأينا البدوي في الجهة الأخرى يشير لنا أن نسرع..

فقـمنا بتحويل كل البـضاعة إلى الفـتحة وأخـذنا بعد ذلك نعبـر الحدود جيـئة وذهاباً والعـرق ينزف نزفاً لتـحويل كل البضـاعة داخل الحدود.. وبعد أن فـرغنا تماماً انتابنا شـعور بالقلق وعدم الأمان ثم سأل عز الدين البدوي عن السيارة :

ـ أين السيارة التي تنقلنا إلى نابلس يا رجل ؟

وفجأة ضحك البـدوي وسخرت مني شكوكي كيف لم أطعها .. وفجأة أضيأت عـشرات المصابيح الكاشفة فوقنا.. إنه كمين.. كمين لقد باعنا البدوي وباع كل شيء ..

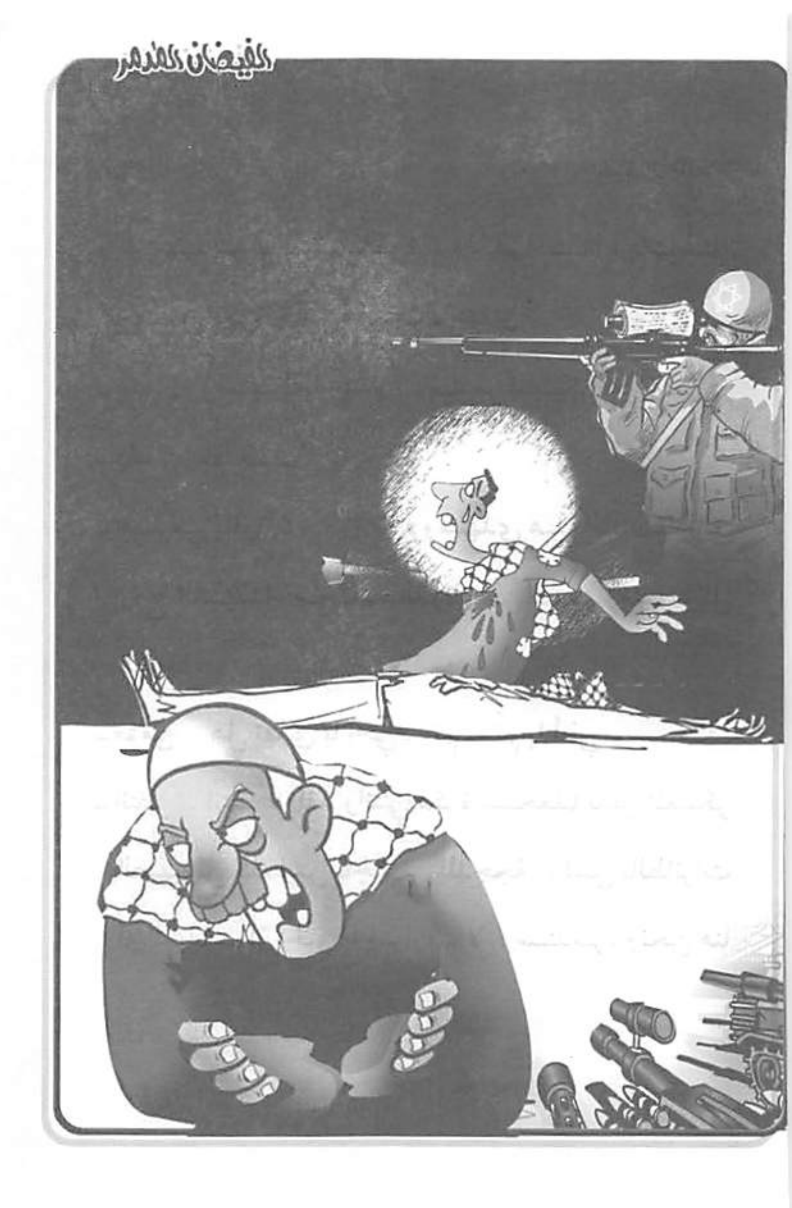
ألقـيت بنفسي على الأرض وانهـالت الرصاصـات من كل اتجاه .. رأيت رأس عز الدين وهي تنفـجر من رصاصة أطلقها أحـد الصهاينة وسمعت صـراخ منير المميت ارتميت

اتمرَّغ وسط البضـائع.. وقبضت على أحد علب المتـفجرات فألقـيتهـا في اتجاه من يطلق النار علينـا فصادفق رصـاصاته فأحدثت انفجاراً رهيـباً فأخذت بجنون ألقي المعلبات على الكشـافات وأختـبئ في كل بقـعة مظلمـة أجدها أمـامي.. والرصاص ينهال حولي كالمطر أخذوا يضربون في البضائع حتى فـجَّروها كلـها فتـحولًت المنطقـة إلى نهار ثم انـبعث الدخـان مع الـريح في اتجـاهي وأنا أجـرى وقــد صنع لي الدخان ساتراً حجـبني عن الأنظار.. أخذت أجري وأجري ولم أكن حـزيناً.. فزمـيلاي كـانا في عداد الشـهداء.. أمـا البـدوي فلقـد رأيت وأنـا أخـرج من المكان رصـاصـة قـد استقرَّت في رأسه فمات خائناً لا رحـمه الله وعليه لعنة الله .

ووجدت نفسي في اليوم التالي وسط جماعتنا أقص عليهم ما جرى وأنا أبكي .. وكان عثمان الذي أحضر البدوي يضرب رأسه في الحائط حتى أدماها وهو يردد :

ـ أنا السبب .. أنا السبب .

هدأتُ من روعه وجلسنا في غَمٍّ طيلة النهار نبكي حالنا.. فلما جاء الليل نمنا كمداً والحلم قد مات مع عزالدين ومنير على الحدود .. ولكن حدث شيء غريب .. فلقد قمت في الليل أقرأ القرآن وأخذت أدعو الله أن يدمر اليهود وجنودهم وأن يمكني من تدمير معسكرهم العتيد في المدينة.. وجرى من أمامي فأر سمين وقد خطف رغيفاً من تحت فراش عثمان فألقيت عليه الملاءة وأمسكت به


الفيضان المدمر

وانتـزعت منه الرغـيف بالقوة .. ولكنـي عندما أردت قـتله لاحت لي فكرة جهنمية فأيقظت عثمان :

ـ عثمان .. استيقظ يا عثمان .. سندمر المعسكر بإذن الله ؟

ـ ماذا .. ماذا تقول ؟

ـ صـدّقني بإذن الله.. سندمـره وسنهدي هـذا الانتصـار إلى روح الشـهـداء مـحـمـد الدرة وعـز الـدين ومنيـر وكل الشهداء .

ـ مؤمن .. هل تهذي يا أخي .. نَم .. نَم يا أخي .

ـ انتظر .. انتظر .. لقد واتتني فكرة سـتجعلنا ندمر المعسكر الصهيوني كله ليس بالجيوش المدججة .. ليس بالطائرات أو الدبابات أو الجنود الجـرارة.. لا.. سـندمـره ونحن هنا

نجلس ونشرب الشاي ونضحك على أصوات الانفجارت.

نظر عثمان إليّ بشيء من الدهشة وقال لي :

- أدرك أنك تريد إضحاكي بعد الحزن والغم ولكن.. أرجوك..

ليس الآن.. غداً.. في الصباح.. تصبح على خير .

جذبته مرة أخرى من تحت الفراش وصرخت في كل المجموعة النيام.. فتجمعوا وسكت عثمان، تجمعوا حولي في غرفة مجاورة فأخرجت الفأر وأمسكته من رقبته وقلت لهم :

- « **سندمر معسكر اليهود بهذا ..** »

كانت فكرة مجنونة إلى حدٍ كبير لكنها بالكاد أخطر من جيوش العرب كلها، فقد كانت مهمة المجموعة في صباح اليوم التالي ليس اصطياد اليهود ولكن اصطياد الفئران من

المراحيض والمجاري والخرابات حتى تجمع لدينا بعد أسبوع ما يزيد عن الألف فأر كلهم في قفص من السلك.. وفي ليلة الجمعة كنا نريد أن يسمع العالم كله بانفجار أكبر معاقل اليهود العسكرية .

تحركت المجموعة تحمل قفص الفئران وتسللت حتى أقرب مكان من مخازن الذخيرة بالمعسكر وكل واحد فينا كان له دور محدد وبسيط للغاية .

أمسك عثمان بصفيحة البنزين ثم سكبها كلها على الفئران وابتعد، وأشعلت بدوري عود من الثقاب عن بعد والقيته على قفص الفئران فاشتعلت كلها . وكان فرد ثالث يجذب باب القفص من بعيد بحبل طويل .. وانطلقت

الفئران المشتعلة مذعورة ولم تجد أمامها سوى مخزن الذخيرة بالمعسكر الكبير جداً .. ألف أو أكثر من ألف فأر مشتعل تهاجم معسكر اليهود .. ماذا يفعلون حيالهم .

أخذ الجنود يصرخون .. أما نحن فعدنا إلى البيت مسرعين وندعوا الله أن يوَفِّقنا.

ولم يستطع الجنود عمل شيء للفئران التي انطلقت في جميع أنحاء المعسكر، إنها كتل من النار تندفع بجنون في كل مكان .. وعندما وصلت مجموعة منها لتحتمي بين صناديق الذخيرة كانت المفاجأة الكبرى .. لقد انفجر أكبر مخزن ذخيرة في إسرائيل .. وتحول المعسكر الحصين في لحظة واحدة.. إلى مسرح للألعاب النارية .. فكل شيء

ينفجر المباني تتحطم .. المعـدات تحترق .. البارود يدمر كل شيء الجنود يموتون .. يحترقون .. يزولون .

لم نصدق أعيننا .. فلقد أضاءت سماء فلسطين باللهب مدة تزيد على الأربع سـاعات .. شكرت الله وحـمدته على النصر المبين وأخذ عثمان يقفز من الفرحة وهو يحتضنني :

ـ مـؤمن .. أنت داهيـة .. أنـت سـيف الله في الأرض لقـد قمت بعمل رائع .. أنا لا أصدق .

ـ صدِّق يا عثـمان .. صدِّق يا أخي .. يا أهل فلسطين .. لا يوجـد ما يسـمى بالقـوة المطلقة .. بـل إنهم يخافـون من القوة المؤمنة خوفاً رهيـباً .. يقول عز وجل : ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَـــةً فِي صُـــدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَـــوْمٌ لا

يَفْقَهُونَ﴾[الحشر:١٣] ألم تلاحظوا تحصيناتهم المبالغ فيها ألم تلاحظوا جبنهم الشديد يقول الله تعالى ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾[الحشر:١٤]

ثم فوجئنا بالجموع الهادرة من الفلسطينيين من كل مكان تزج في فرحة غامرة وقلت لعثمان :

ـ ماذا بقي لنا يا عثمان بعد ذلك .

ـ بقي لنا وحدة العرب يا مؤمن .. الوحدة التي طال وطال وطال انتظارها .. لماذا لا نتّحد ونكون أمة واحدة .

كانت هذه آخر كلمات سمعتها في هذا الحلم العجيب

ولكنهـا لـم تكن آخر مـا شاهدته .. لأنني خـرجت من بيت عثمان فـوجدت الملاك الذي بدأ معي الحلم من أوله .. كأنه يريد أن يعـود بي إلى زمني الحقـيـقي في بيتنا القـديم لدى أمي الفقيرة صانعة السلال .. فوجدني أبكي فسألني :

ـ لماذا تبكي يا مؤمن وقد صنعت عملاً عظيماً .

ـ هل سينتهي الحلم عند ذلك أيها الملاك الطيب .

ـ وماذا تريد بعد ذلك .

ـ كنت أريد أن أجد العرب متحدين يا ملاكي .

ضحك الملاك وقال :

ـ إذن تعـالى أصـعد بك إلى أعلـى قمـة .. بل إلى المنطقـة الباردة قرب السحاب .. وسترى بعينك اتحاد العرب .

ظننت أنه يسخر مني .. فما علاقة ذلك بذاك .. وكيف سأرى اتحاد العرب من أعلى قمة ؟

واعتقدت أن للأحلام أعاجيب يجب الأخذ بتصديقها في كثير من الأحيان .. فاستسلمت لجناحيه ثم طار بي عالياً عالياً .

ووصلنا إلى ارتفاع شاهق حتى أني قد رأيت كل الوطن العربي من فوق وفجأة صرخت :

ـ ما هذا .. ما هذا ..

ـ ماذا ترى يا مؤمن ..؟

ـ إنه فيضان.. فيضان يتجه نحو فلسطين بسرعة رهيبة ياه .. أهذا ما تريد أن تريني إياه .. هيا.. هيا يا مؤمن ننقذ

فلسطين من الفيضان .؟

ضحك الملاك بشـدة حتى كدت أسقط من بين جناحـيه ثم قال :

ـ فلنهبط قليلاً حتى ترى حقيقة هذا الفيضان .

وهبطنا بعض الشيء فاتـضحت لي الحقيـقة .. إنه ليس فيضاناً من ماء .. بل هي حشود رهيبة من البشر .. إنهم في تلاحم كذرات الماء .. فـي قوة كالطوفـان المدمر في سـرعة كالفيضان :

ـ يا إلهي .. يا ربي .. ما كل هؤلاء .

قال الملك وهو يهم بالعودة بي إلى زمني الحقيقي :

ـ هذه هي الوحدة العربية التي كنت ترجوها يا مؤمن .

نظرت فإذا الجموع الهادرة في طوفان مدمر .. تنطلق نحوهم طلقات الرصاص والقنابل والصواريخ لكن لا شيء يوقف الفيضان أبداً .. لم أبرح معه حتى رأيت كل الأراضي الفلسطينية قد غمرها الفيضان العربي تماماً وارتفعت راية **لا إله إلا الله .. محمد رسول الله**.

« **لا إله إلا الله .. محمد رسول الله** » فصبغت كل البلاد.

وكنت أتقلب في فراشي يمناً ويساراً وأنا أردد الشهادة فإذا بأمي توقظني وهي تقول :

ـ قم يا مؤمن .. قم يا ولدي .. لقد نمت وقتاً طويلاً .

ـ ماذا يا أمي .. لقد كنت أحلم حلماً غريباً عجيباً .

ـ قم يا ولدي .. لقد فار البئر الذي في صحن الدار وخفت

أن يغرق البيت كله لكنه عاد كما كان وإذ بجوهرة على حافته كأنها الدم .. تعالى لترى .

ذهبت مع أمي للبئر ورأيت الجوهرة الحمراء فالتقطها وأنا في دهشة وتعجب ثم ابتسمت وتذكرت الملاك الطيب والفيضان الكبير فقلت لأمي وأنا أمسك بالجوهرة وأثبتها بالتاج في فرحة كبرى :

ـ إنها جوهرة الاتحاد يا أمي الاعتصام بالله .. والوحدة الإسلامية .. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣]

تمت بحمد الله تعالى

مغامرات مؤمن

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٢٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣